

كيفية التعامل مع غير المسلم؟

يقع كثير من المسلمين الذين يخشون على دينهم في حيرة ولحق بسبب هذا السؤال، ويريدون بطرحه الوصول إلى قول فصل، حتى يكونوا على بينة من أمرهم، والإجابة مبسرة إلى حد بعيد، فكل ما على المسلم أن يفعله أن يرجع إلى كتاب ربه، وستة نبيه، وسيمصل إلى يقفته في ذلك، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي قدّم لنا حلاً لتعايش المسلم مع غيره من أصحاب الملل المختلفة، ومن تعليمات الإسلام وإرشاداته أنه نهيتنا وعلمنا كيف نعامل غير المسلم في المائل والمشرب والتكاح وغير ذلك من الأشياء الخاصة بالعلاقة بين المسلمين وغيرهم.

الجر بهم والإحسان إليهم

يرشدنا الإسلام إلى أن الأصل في معاملة الناس جميعا مسلمهم وكافرهم البر بهم، والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّكِمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن ديارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وأَخْرَجُوكُم مِّن ديارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلى إِخراجِكُمْ أَن تُولُوهُم وَمَن يُولُوهُم فَأُولَئِكَ هُمُ الْفائِضُونَ﴾ [الممتحنة: 938-]. فلم ترغِب الأيات في العدل والإحسان إلى غير المسلمين فحسب، بل رَغِبت في البر إليهم أيضا. وإذا كان الإسلام لا يَنْهِي عَنِ البر والإقْساط إلى المخالفين من أي دين ولو كانوا وثنين أو مشركين، فإنه ينتظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد قَدَّمَ القرآن الكريم نموذجاً في أدب الحوار معهم فلا يتأديهم إلا بقوله تعالى: يا أهل الكتاب، يا أيها الذين آمنوا أوتوا الكتاب، وذلك إشارة إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي، وبينهم وبين المسلمين رحم وقربى، يتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث به الله -سبحانه وتعالى- أنبياءه جميعاً قال تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» [الشورى: 13].

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مروهة عند يهودي في ثلعة عماله، ودخل وقد نجران على النبي (مسجده بعد العصر)، فكانت صلاتهم، فلماوا يصلون في مسجده، فبادر الناس منهم، فقال: «دعوه»!

فاستقبلوا لشروق فصلوا صلاتهم، وقد أوصى عمر بن الخطاب -رضي

الله عنه- وهو على فراش الموت الخليفة من بعده بأهل الذمة خيرا، وأن يفي بعهدهم، ولا يكظمهم فوق طاقتهم، والذمة معناها العهد، الذي يشمل عنصرى الثامن والحادية

وهذا سبق وريادة يُعرف في عصرنا بالحقوق المدنية والجنسية.

والإسلام جعل من بين أركان عقيدته الإيمان بكتب الله قاطبة، ورسله جميعا، ومن ينكر ذلك يدخل في دائرة الكفر، قال تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

وقد أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم ومصاهرتهم، والتزوج من نسائهم في الحدود الشرعية المسوحة، قال تعالى: «ووطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» [المائدة: 5].

الرفق في الحديث

حث الإسلام على الترفق في الحديث معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن: لأن في ذلك نزعا للأحلاف، وتنقية للنفوس مما يعلق بها من حقد، قال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإليها وإلهمك واحد ونحن له مسلمون» وكذلك حث الإسلام على توفير الحياة الآمنة، كما حث على الصديق في التعامل والعدل والسلام مع غير المسلمين، وقال: (من أدّى دميّا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) [الخطيب]، وقال: (من قُلم معاديا، أو انتقص حقا، أو كلفه فوق طاقتة، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا

■ **العودة: النهي عن إلقاء السلام على اليهود والنصارى جاء في ظرف خاص وفي ظل توتر في العلاقات**

■ **هناك خلاف بين السلف في كيفية التعامل ورد السلام يدل على أن الأمر فيه سعة**

■ **النبي قبل هدية من غير المسلمين وأهدى لهم وهو صاحب الشريعة**

حجيجه يوم القيامة) [أبو داود]، كما أجاز الإسلام للمسلم أن يهدي الهدايا إلى غير المسلمين، وأن يقبل منهم الهدية ويجازيه عليها، فقد ثبت أن النبي (أهدى إليه الملوكة، قليل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة -أم المؤمنين- رضي الله عنها-، أن النبي قال لها، «إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأوافق من سكت» [أحمد].

ويجب على المسلم أن يكون تعامله مع غير المسلم في حدود القائلين فيه لا الناثر به، فكل له عادته وتقاليده، فلا يجوز للمسلم التشبيه بغير المسلم فيما يخالف مبادئ الإسلام، كان يتشبه بهم في ملابسهم، أو يقدم مشروبا محرما لضيفه، أو تلعبا غير حلال للمسلمين، أو ما شابه ذلك.

هذه هي مبادئ الإسلام الخالدة وقيمه السامية التي تتعامل مع الإنسان وتحترمه، فقد كان سهل بن ضيف، وقيس بن سعد قاعدتين بالفارسية، فعرّ الناس عليهما بجنازة فقاما، فقبل لهما: إنيما من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقلّا: إن النبي (مرت به جنازة فقام، فقبل له: إنيما جنازة يهودي، فقال: (البيست نفسا) [البخاري].

مبادئ إسلامية

هناك مبادئ يجب أن تترسخ في ذهن كل مسلم ليعرف كيف يتعامل مع غير المسلمين ومنها: أولا: اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، قال تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم» [الإسراء: 70] وهذه الكرامة المفردة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العجيبة ما رواه البخاري عن جابر ابن عبد الله، أن جنّازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفا، فقبل له: يا رسول الله، إنيما جنّازة يهودي! فقال:«البيست نفسا؟» بلى، ولئن نفس في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف وما أروع التفسير والتعليل! ثانيا: اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الذي منحه هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (الكهف: 29) «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» (هود: 118، 119) قال المفسرون: أي ولايختلف خلقهم؛ لأنه منجمهم العقل والإرادة، فانتضت مشيئته أن يختلفوا.

والمسلم يؤمن أن مشيئة الله لا راد لها ولا معقب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة، علم الناس ذلك أو جهلوه؛ ولهذا لا يفكر المسلم يوما أن يجبر الناس ليصيروا كهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم:«ولو شاء ربك لأمّن من في الأرض كلهم جميعا فاقتلت تكفّر الناس حتى يكونوا مؤمنين» (يونس: 99).

ثالثا: ليس للمسلم مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين. قال تعالى:«وإن جادلوكم فقل: الله أعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون» (الحج: 68، 69). وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: «قللّك فارع واستقم كما أمرت ولا تتبع أوهامهم وقل آمئت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير» (الشورى:15).

وقد قال عيسى عليه السلام لربه يوم القيامة: «إن تعذيب قائمهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» (المائدة: 118).

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي اثر للصراع بين اعتقاده بكر الكافر، ومطابقته بيرد والإقْساط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

رابعا، إيمان المسلم بأن الله يأمر بالعدل، ويحب القسط.

تولى عمر بن العزّيز في ربيع الأول من عام 87هـإمارة للمدينة المنورة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 91هـ وبذلك صار واليا على الحجاز كلها؛ واشترط عمر لتوليّه الإمارة ثلاثة شروط: الشرط الأول:أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدا ولا يجوز على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق لبيت المال، ويترتب على ذلك أن يقل ما يرفع للخليفة من الأموال من المدينة. الشرط الثاني: أن يسمح له بالحق في أول سنة لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج؛ الشرط الثالث: أن يسمح له بالعطاء أن يخرجّه للناس في المدينة فوافق

الوليد على هذه الشروط، بأشر عمر بن عبدالعزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحا شديداً، واتخذ لنفسه مجلسا لشورى والسدى تكون من فقهاء وعلماء حيث دعا بعد أن تولى مباشرة عشرة من فقهاء المدينة، وهم عروة ابن الزبير، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خنيشة، وسليمان بن يسار، والغاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت، فدخّلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تخرجون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمرا إلا بإيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يبتعدى، أو يظلمكم عن عامل في ظلامة، فأخرج الله على من بلغه ذلك إلا لبيغتي، لقد عرفت أن عمر بن الخطاب كان يجمع المجلس لئلا يمرأ، فيرى ضرورة الشورى فيه، أما عمر بن عبدالعزيز، وهو سيد عمر بن الخطاب، فقد أحدث مجلسا، حدد صلاحياته بأمرين: أنهم أصحاب الحق في تقرير الرأي، وأنه لا يقطع أمرا إلا بإرائهم، وبذلك يكون الأمير قد تخلى عن اختصاصاته إلى هذا المجلس،

فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تخرجون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمرا إلا بإيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يبتعدى، أو يظلمكم عن عامل في ظلامة، فأخرج الله على من بلغه ذلك إلا لبيغتي، لقد عرفت أن عمر بن الخطاب كان يجمع المجلس لئلا يمرأ، فيرى ضرورة الشورى فيه، أما عمر بن عبدالعزيز، وهو سيد عمر بن الخطاب، فقد أحدث مجلسا، حدد صلاحياته بأمرين: أنهم أصحاب الحق في تقرير الرأي، وأنه لا يقطع أمرا إلا بإرائهم، وبذلك يكون الأمير قد تخلى عن اختصاصاته إلى هذا المجلس،

الذي نسميه (مجلس العشرة) إن عمر افترض - غياب أحدهم عن الحضور لعذر من الأعذار ولهاذا لم يشترطه في تدبيره حضورهم كلهم، وإنما قال: (أو براى من حضر منكم)، إن هذا المجلس كان يستشار في جميع الأمور دون استئناء.

وتؤكد هذه القصة أهمية العلماء الربانيين وعلو مكانتهم وأنه يجب على صاحب القرار أن يندبهم ويقرّ بهم منه ويشاورهم في أمور الرعية، كما أنه على العلماء أن يلتفوا حول الصالح من أصحاب القرار من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن للمصالح وتقليل ما يمكن من المفاسد، كما أن عمر بن عبد العزيز لم يختصر في شواره على هؤلاء فحسب، بل كان يستشير غيرهم من علماء المدينة، كسعيد بن المسيب، والزهرى، وغيرهم، وكان لا يقضى في قضاء حتى يسأل سعيد، وفي المدينة أظفر عمر عبد العزيز للسبب يسأله عن مسألة، وكان سعيد لا يأتي أمير ولا خليفة فأخطا الرسول فقال له: الأمير بدعوك، فأخذ سعيد تعليه وقام إليه في وقته، فلما رام عمر قال له: عزمت عليك يا أبا محمد

إلا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا، فلما لم ترسله ليدعوك، ولكنه أخطأ إنما أرسلناه ليسألك ، وفي إمارته على المدينة المنورة وسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من والوليد بن عبد الملك، حتى جعله مائتي ذراعا في مائتي ذراع، زخرفه بأمر الوليد أيضا، مع إنه رحمه الله تعالى كان يكره زخرفة المساجد ، ويتضح من موقف عمر بن عبد العزيز هنا أنه قد يضطر الوالي للتجاوب مع قرارات من هو أعلى منه حتى وإن كان غير مقتنع بها إذا قرر أن المصلحة في ذلك أكبر من وجود أخرى، وفي إمارته على المدينة في سنة 91هـ حج الخليفة الوليد بن عبد الملك فاستقبله عمر بن عبد العزيز أحسن استقبال، وشاهد الوليد بام عينيه الإصلاحات العظيمة التي حققها عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة،

■ **قُرب العلماء**

■ **الربانيين من ابن**

■ **عبدالعزیز زاد**

■ **المصلحة وقلل**

■ **المفسدة**



عرب الصحراء

أصبحوا سادة الأمم بالأخلاق

عند الله أعظم من حرمك؛ ماله ودمه)؛ اللفظ لابن ماجه.

مكانة الأخلاق في ديننا

للأخلاق في ديننا مكانتها الخاصة وميزانها الرفيع، لدرجة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قصر الهدف من رسالة الإسلام على تنميط مكارم الأخلاق في واقع الناس وسودهم. وهذا مدلول لوله- صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق»، وهذا حق وصحيح؛ حيث نلاحظ دائما أن الهدف الخلقى والسلوكي هو المبتغى من وراء التكليف بالعبادة في إيمانها وفي تفصيلها، فعلى سبيل الإجمال نقرأ قوله تعالى: (يا أيها الناس اعبداوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)، وعلى سبيل التفصيل نقرأ قوله تعالى في شأن الصلاة: «واقم الصلاة»، وفي شأن الزكاة «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم»، فلا عجب إذا أن يعتبر سلفنا الصالح الدين هو الحق، وهذا ما عبر عنه ابن القيم- رحمه الله- بقوله: «الدين الخلق»، فمن زاد عنك في الخلق زاد عنك في الدين، ومن نقص عنك في الخلق نقص عنك في الدين». وهكذا فإن موالد النبي صلى الله عليه وسلم غير حال أمة العرب من القلام إلى النور ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة.

«فياح هؤلاء العرب إلى ما صاروا عليه بعد إسلامهم، وإن يصحوا بهذه الأخلاق الفادرة التي هي رسالة السءاء إلى الأرض، من خلال النبي الذي كان معروفا بين قومه - من قبل أن يبعث - بالصادق الأمين - صلى الله عليه وسلم - فقد حول مولد الهادي وبعثته - رعاة الغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم، كان الرجل من الصحابة - مثلا - يأتي من الجاهلية جاهلا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، غير مؤمن بشيء من أمور الدين، ولا بأخلاق، فيلفق عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيخبره الرسول - عامم الصلاة والسلام - بأمور الإسلام والإيمان، وما يجب عليه، وخلال جلسات قليلة - أو ساعات قليلة - نجد هذا الإنسان قد انقلب خلقا آخر، وتغير تغيرا جذريا، تغير في سلوكه، وفي أخلاقه، وفي شخصيته، وفي نظراته، وفي تصرفاته، حتى كأنه ليس الشخص السابق، وأدلك صار يظهر منهم البطولات التي يلف الإنسان أمامها مبهورا، وهو يقرأها على صفحات الكتب، فيستغرب كيف وصل بشر من البشر إلى هذا الحد. وأحيانا خلال فترة قصيرة جدا».

وأكبر دليل على ذلك أننا في عصرنا الحاضر بعد أن تخلفنا عن أخلاقنا ضاعت منا الدنيا، بعد أن كنا تملكها، وأصبح أرخص دم يراق على الأرض هو دم المسلم، هذا المسلم الذي قال فيه النبي فيما يرويه عبدالله بن عمرو، قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يظوف بالكعبة، ويقول: (ما أطيبك! وما أطيب ريحك! ما أعظمك! وما أعظم حرمك! والذي نفس محمد بيده، حرمة المؤمن

إن حياة نبيّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - مليئة بما يثبت ويدل على أن هذا الدين ما أتى إلا لمغير طابع البشر إلى الأخلاق الحميدة الحسنة، التي كانت في مرحلة بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - قد وصلت إلى أسوأ ما تكون عليه البشرية من طبايع وعادات وتقاليده، اللهم إلا القليل، ولكم كان من الصعب أن يتخيل أحد أن يكون العرب الأجلاف الصعاب الأشراء بهذه الأخلاق التي سماوا بها على الدنيا! وسادوا الدنيا بعد أن هذب النبي - صلى الله عليه وسلم - أخلاقهم بوحى من الله - عز وجل - حتى يكون سبب أو أحد أسباب تملككم للدنيا هي أخلاقهم.

العرب قبل الإسلام

فبظنرة إلى مجتمع العرب وقت رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - نجد أن أخلاق العرب في قبة السوء حيث أولعوا بالخمر والفقر، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والتظلم، وسك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامي، والتعامل بالربا، والسرقة والزنا، وما ينبغي أن يعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الربايات من المغايا، ويشتر أن يكون في الخرائل، وليس ادل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذ البيعة على النساء بعد الفتح: «على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنيْن»، قالت السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان: أوتزني الحرة؟

وله كان ضربا من الخيال أن يتخيل أي أحد أن تتغير